المشرق

مجلة كاثوليكية شرقية

تبحث في العلم والادب والفن

تصدر مرة في الشهر في ثمانين صفحة كبيرة، بتصاوير ورسوم عند اللزوم

بادارة آباء كلية القديس يوسف

السنة الثامنة والعشرون

١٩٣٠

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

SOUS LA DIRECTION DES PÈRES DE L'UNIVERSITÉ ST.-JOSEPH

VINGT-HUITIÈME ANNÉE

1930

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

BEYROUTH

1930

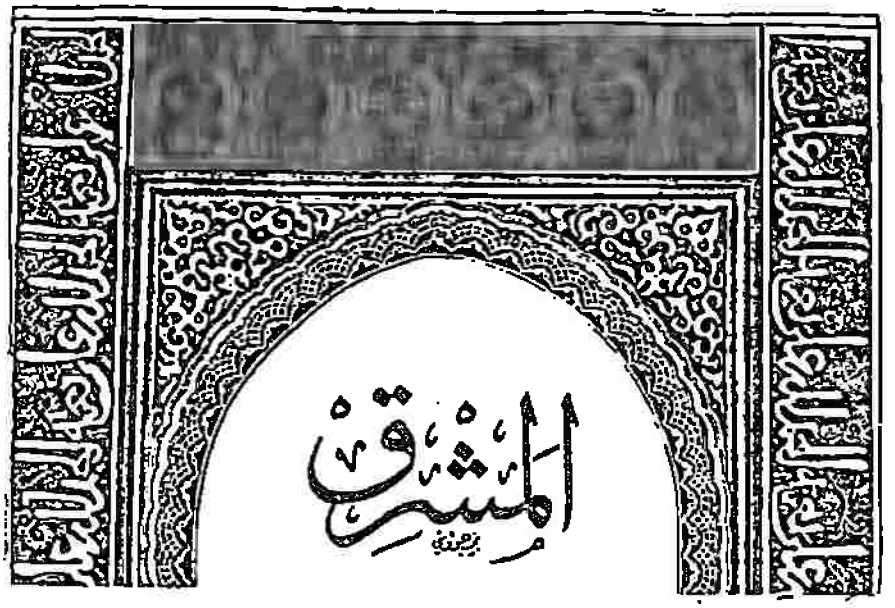

كانون الثاني ١٩٣٠

نفسيّة السلطة الشخصيّة

لمحة اتقاريرة في كتابين حديثين[1]

بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي

يقول القديس بولس الرسول (رومية ١٣) : «لا سلطان الّا من الله . والسلاطين الكائنة انما رتبها الله . فمن يقاوم السلطان فانما يعاند ترتيب الله والمعاندون يجلبون دينونة على انفسهم ... لذلك يلزمكم الخضوع للسلطان لا من اجل الغضب فقط بل من اجل الضمير ايضاً.»

وقول الرسول هذا يؤيد ما اقرّته الفلسفة الادبية الصادقة من انّ الله ذاته ، الذي خلق ونظّم المجتمع البشري ورتّبَ فيه الجماعات الروحية

(١ L'Abbé Jean Toulemonde, *Licencié ès-Sciences, Docteur ès-Lettres, Professeur de Psychologie appliquée à l'Université Catholique de Lille,*

1° L'Art de commander, Psychologie de l'Autorité personnelle; *in*-8°; *VIII* — 321*pp.* ;

2° Pour avoir de l'autorité; *in*-8°, 129*pp. Blond et Gay, Paris.*

والزمنية ، الجزئية منها والكاملة ، هو ايضاً مصدر كل سلطة بشرعية في الكنيسة والعائلة والحكومة . فهو ، عزّ وجلّ ، يخوّل الرئيس سلطته ويُلزم ضمير المرؤوس بطاعته.

على انّ واقع الحال هو غالباً بخلاف الترتيب الموصوف . ومن ثمّ تلك الفوضى التي تضرب اطنابها من حين الى آخر في العيال وفي الدول ، بل في معاهد التعليم والتربية ذاتها . والسبب ليس فقط ميل الانسان الغريزي الى الاستقلال ، وانتشار روح الحريّة الزائفة ، ولاسيما في عصرنا هذا ، بل هو غالباً نقصٌ جسيم في الرئيس عينه . فكم من ابٍ اضحى العوبةً بين ايدي ابنائه فهو المطيع الراضخ ، وهم الآمرون والناهون المستبدّون . وكم من عروش دكّت الثوراتُ اركانها ، فذهبت بصولة الملوك ، وادّت بالشعوب الى دركات الخراب . وكم من تلميذ يضيع على مقاعد المدارس ايام صباه ودراهم اهله ، لانه لم يجد يداً قويةً تلجم اهواءه وترشده الى العلم والادب.

وقُصارى القول ليس كلُّ من تُقلّد السلطة ، وان شرعيةً ، يصلُحُ لها . بل قد تتوفّر في المرء مواهب الطبيعة اللازمة للعمل بها ، وبالرغم من هذا تراه لا يتمكّن منها ولا يتوفّق الى الحصول على الخضوع لاوامره ، اما لاهماله ، واما لقلّة ما يتروّى في كيفية سيره وسياسته ، واما لغير اسباب.

ترى ما السرّ في هذا ؟ ما السرّ في كون نابوليون مثلاً يبدي اشارة فتندفع الالوف من جنوده الى ساحات الموت ، ولا يتردّدون ، بل لا يسألونه سبب امره ؛ ولويس السادس عشر تنقض عليه بلاده فتخلعه عن العرش وتحكم عليه بالاعدام كانه مجرم لا ملك ؟ وما السرّ في السطوة التي تزيد على تلاميذه تراهم جميعاً يجلّونه ويستفيدون من تعليمه وتثقيفه . فيكاد يقضي العام بتمامه استاذاً عليهم ولا يفرض على واحدٍ منهم قصاصاً . بينما تراهم هم اعينهم ، في السنة المدرسية ذاتها وفي المعهد نفسه ، اذا انتقلوا الى الردهة التي يُلقي فيها عليهم عمرٌو درساً آخر ، فهم فيها كأنهم في « حمّام انقطع ماؤه » . فثمّة الضجة والجلبة والهرج والمرج . وما من سامع ولا من رادع ، وما من مفيد ولا مستفيد . وكأنّ عمراً « ناطور صحراء » ليس الّا ؟ وبعبارة اخرى من اين

لواحد الحمول والوهن وللآخر السطوة والقدرة؟ وان كان ترتيب الخالق يخوّل حامل السلطة الحقّ ان يُلزم مرؤوسه بالطاعة ، فايّ المزايا فيه تُحقّق هـذا الترتيب فعلًا ؟ وايّها تُكسبهُ الهيبة ؟ وايّ السبل تؤدي به الى تنفيذ وغائبه ؟

تلك مشكلة لا يخفى ما حلها من الخطورة لما يترتب عليه من الفوائد ، ليس النظرية فحسب بل العملية ايضاً ، للافراد والعيال وارباب التربية والتعليم، ويوجه العموم لكل من وكل الله اليهم ارشاد غيرهم على نوع من الانواع.

وقد عالج هذا الموضوع الاب يوحنا تولوند في مجلّدين نفيسين اهدى الى مجلتنا نسخةً من كليهما . فرأينا ان نلخصهما للقرّاء الكرام.ولحضرته شهرة وخبرة في النفسيّات.وقد سبق له ، في الامراض العصبية ، من حيث علاقاتها بالعوامل المعنوية ، مؤلّفان كان الاقبال عليهما عظيماً.ولم يعمد الى تدوين الذي نحن في صدده الا بعد الاختبار الطويل والمطالعات العديدة . فانه قضى عشرين سنة في التدريس ، وكان ضابطـاً في الحرب الكبرى ، واستطلع آراء نحو خمسين مؤلّفاً كتبوا في موضوعه ، بل قُلْ في ما له صلةٌ به . لانه قلّ من طرق باب هذا البحث غيره من قبله.

ولذلك تراه لا يُقرّ مبدأ او يبسط قاعدة للعمل الّا بنى مزاعمه على وقائع تثبتها بذاته او اثبتها غيره من الثقات.وبالرغم من كثرة مواد المؤلف لا يعتريه الغموض ، اللهمّ فيما غلب ، وقـد جاء الكتاب منظّماً منسّقاً تلذ قراءتـه ، لوضوح معانيه ورشاقة عبارته وما حوى من مُلَح اشهر الكتّاب.

امّا المجلّد الاول فعنوانه «فنّ الامارة»(L'art de commander) واقسامه ثلاثة : ١) ضروب السطوة الجزئية — ٢) ماهية السطوة الكاملة ، كما تبان خصوصاً من وقعها في المرؤوس — ٣) نفسية المرء ذي السطوة ، اي ماهيـة السطوة الكاملة من حيث يُستدلّ عليها من صاحبها.

وعنوان المجلّد الآخر هو « السبيل الى اكتساب السطوة » (Pour avoir de l'autorité) فالموضوع في الاثنين واحد. غير انّ الثاني هو شرح اوسع واوفى للاصول التي وردت ملخصةً في القسم الثاني من «فن الامارة». فلا حاجة اذًا الى وصف كل مجلد على حدة بل حسبنا الكلام عن كليهما معاً.

١

ضروب السطوة الجزئية

من دأب الاب تولموند ان يستطلع اولًا الجزئيات توصلًا الى معرفة الكليات شأنَ كلُّ من بحث في العلوم الاختبارية . « فكما ان درس الجنين وما آل من الكائنات الحيّة الى التلف ، يرشد الى معرفتها في اطوارها القانونية ، كذلك النظر الى السطوة في احوالها الجزئية من شأنه ان ينير الباحث فيراها في حالتها الكاملة بمظهر جديد.» (١ : ٧)

والمراد هنا بالسطوة الجزئية تلك التي لا يملك صاحبها الّا بعضاً من المقدرات التي تمكّنهُ من ارادة مرؤوسيه وتُنيلـه خضوعهم . وتتنوع ضروب السطوة الجزئية على حسب اختلاف المقدرات المذكورة . ومن اثبات هذه :

١ الوظيفة — لا ريب انها ، من ذاتها ، تخوّل متقلدها على مَن ولّتهُ امرهم ، ليس حقّ الامارة الشرعي فقط ، بل تفوّقاً فعلياً ، له تأثيره فيهم فيميل بهم الى الخضوع ، ما لم يفقد الشرعَ ، عاجلًا ام آجلًا ، تفوّقه هذا بقلّة دربته ، كما سبق لنا القول . والسطوة الجزئية من هذا القبيل تُدعى سطوة الوظيفة (Autorité-fonction)

٢ الاستمالة بالاوفاده — « من البشر من لهم بين بني جنسهم نفوذٌ يبلغ حدّ الإفتتان ، فقد يُعجَب الناس بهم بدون ان يروهم ، وينهمون في التقاط اقوالهم . بل قد يشتدّ في الجموع الولع بهم حتى تتهافت مزدحمةً عليهم كيما تشدو بمديحهم وتتمتع برؤياهم . فكأني بهم قد جاوزوا حدودَ محيطهم فارتفعوا فوق المجتمع البشري ، بين الله والناس ، ممّا حمل الاقدمين على تسميتهم انصاف آلهة.» (١ : ٥٥)

وامثال هؤلاء في التاريخ القديم والحديث قليلون بالنسبة الى من لم يبلغوا شأوهم . غير ان عددهم في حدّ ذاته لا يستهان به . فمنهم العالم المكتشف كپاستور ، والفيلسوف المفكر كافلاطون وتوما اللاهوتي ، والزعيم السياسي كرغلول ، والقائد النابغة الفاتح كنابوليون ، والقديس ذو الفضيلة الشاه كفرنسيس

الاسيقي ، والمرسل النجابة مثل كسفاريوس رسول الخندق . هؤلاء جميعهم نجوا نجوهم اقساً فازوا بحظوتهم ، وسحروا العقول بعبقريتهم . والقلوب بسياستهم او فضيلتهم اكثر منهم بما تقلدوا من السلطة . بل منهم من رفضها كلما ابتدرت اليه . ومع ذلك ابى بنو جنسهم الا ان يصلوا برأيهم وينقادوا الى تصاغيهم ، حتى بعد موتهم ، بل قل لاسيما بعد موتهم . والسطوة الجزئية من هذا القبيل تدعى « السطوة بالافتتان » (Autorité-fascination)

٣ً روح التسلط — « امامك جمهور من الصبيان . هم اقران متساوون في العمر والمنزلة الاجتماعية والملبوس كما وبالجهل ايضاً . منهم واحد هو زعيمهم ، لم يسلطه احد وانما هو سلّط نفسه من نفسه ، اذ استلم الإمارة ولا معارض . فهو يخطب وكل يصغي ، وان ناقضه احد انتهره وسدّ فاه . فهو ينظم الالعاب ويحلّ ويربط في الرفقة ولا يقبل حكمه استئنافاً . بأمر فيطاع . »(١ : ٦٨)

ومصدر السطوة هنا انما هو « روح التسلط » ، وسيأتيك الكلام عنه في القسم الثالث . والسطوة الجزئية من قبيله تدعى « السطوة بين الاقران » (L'autorité entre égaux) .

ولا حاجة الى التنبيه انّ التسلط من النوع المذكور لا ينطبق دائماً على المبادئ الادبية الصحيحة . ولا بد له كيما يكون حلالاً ، من قيود وشروط ، منها ان يكون المتسلّط مزداناً ، فعلاً لا وهماً ، بصفات سامية في نوعها ، وأن لا يتعدّى حقوق ذوي السلطة الشرعية .

على ان روح التسلّط هذا ، وان جاوز حدودَ الحلال ، فلا بأس على المفكر من تحليله علمياً ، علّه يستنتج من البحث فيه قواعد عملية ، يسير عليها الرئيس الشرعيّ ، اللهمّ فيما لا يجيزه الضمير المستقيم . وهذا ما اتاه الاب تولوتد اذ وضع في هذا الباب اصولاً اليك اهمها :

« من كان دأبه الحزم في استعمال سلطته فهو يُعزّزها . وعليه فان اهمل او خشي الرئيس ، ذو الحقّ الاكيد بالإمارة ، ان يعمل بسلطته . فلا يلبث حقّه هذا ان يتلاشى فعلاً . » (١ : ٩٤)

(للبحث صلة)